تصريح الجمالي

•

طلعت صحف الصباح في الثالث من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ على الناس بتصريح للدكتور فاضل الجمالي ، روته عنه وكالة الانباء العربية ، فطلعت منه بالمقيم المقعد . وفتحت منـــه مجرى لريح عاصفة ، فاذا اندية بغداد الهامسة ، ومحافلها الحذرة يتجاوز بها الهمس والحذر حدود التحفظ ، وتنقلب الهواجس حقيقة محمومة يشف عنها هذا التصريح بما قصد اليه من إعـداد الرأي العام في العراق لقبول نتائج المفاوضات . وانت غني عن ان أعيد لك شكوك جمهور العاملين في الحقل السياسي من الوطنيين ، تلك الشكوك التي أتعبت الحكومة وخلعت فكيها بكثرة (التصريحات) المطمئنة التي كادت تظفر باعادة الشك والحذر من فتح المفاوضات في هـذا الظرف إلى موضع السكينة الموقتـــة ريثما تعلن النتائج وتنشر

النصوص ، ولكن التصريح الطالع نقض الجروح وفتق الرتق ، وبعث الهواجس تسعى من يمين وتدب من يسار فترسل القلق هنا ، وترسله هناك في حال كحال البركان اذ يرسل نذره ، ويدفع شظاياه تتطاير بالشرر معلنة عن الانفجار .

ولنسمع الآن هذا التصريح لنرى بعده أشياء لا بد لنا من رؤيتها إذا حرصنا على معرفة اسرار السياسة المتطوعة لحمل الانكليز على اعناقنا ، ولا بد لنا ان نرى في هذه الاشياء مغزى التصريح اولاً ، وصداه ثانياً وطريقة تغطيته ثالثاً .

أما التصريح فدونك روايته بالنص :

« تحدث معالي الدكتور فاضل الجمالي ، وزير الخارجية العراقية ، الى وكالة الانباء العربية في لندن اليوم عن المحادثات المنتظرة بين بريطانيا والعراق فقال ، ان المعاهدة البريطانية العراقية التي وقعت عام ١٩٣٠ قوبلت بكثير من النقد في العراق ، وكان اكثر الانتقادات التي وجهت اليها راجعاً بالطبع الى السياسة الحزبية في البلاد ولا يمت الى الحق بنصيب . ولكن ليس من شك في ان المعاهدة لا تخلو من مآخذ اذا توخى المرء عند بحثها استكمال كل نقص ، وتطلع الى الظفر بمعاهدة مستوفاة من جميع الوجوه . ولم تخفت حملات النقد عليها من ذلك الحين ، وان كان فريق كبير من العراقيين ادرك فضلها ولمس قيمتها ووجوه الفائدة منها . ولما تقلد فخامة صالح جبر الوزارة الحاضرة كان تعديل المعاهدة الهدف الاول في برنامج سياستها الخارجية ، وجرت اتصالات بينه وبين الحكومة البريطانية ادت الى موافقتها على تحقيق رغبة الشعب العراقي في

اجراء محادثات لتعديلها على الرغم من انها لا تستوفي اجلها الا في عام ١٩٥٢ .

ومن حسن الظن ان الحكومة البريطانية سلمت بان التعاون بين البلدين على أساس من المساواة التامة والصداقة هو المبدأ الذي لا غنى عنه . وقد أقرت بريطانيا ايضاً ان الظروف والتجارب تقتضي بعديلاً من شأنه ان يكفل المساواة في مصالحهما المشتركة واعترفت بان الصداقة وتبادل المنفعة هما الحجر الاساسي في الروابط التي تؤلف بينهما، وان المعاهدة ليست الا رمزاً يبرر هذه الحقائق ويسجلها على هذا الاساس .»

— ١ —

هذا هو التصريح الذي أقبل الناس منه بعضهم على بعض تتساءلون عما يجيش في مكنونه مما ستنكشف عنه المفاوضة الوشيكة .

وما علمنا من أمر هذه البساطة التي تميز الدكتور الجمالي ، ومن هذه الطيبة ، التي يطالعك بها ثغره المفتر البسام ، فاننا نعلم ان هذا التصريح من تصريحاته المتتابعة بسخاء عجيب ، لم يصدر عن تلك البساطة ولا عن هذه الطيبة ، وانما صدر عن خطة في هذه السياسة المتدرجة رويداً رويداً الى النتيجة فراراً مما تحدثه المفاجأة من رد الفعل ، وعكس الاية .

وقد حفظنا عنه قبل هذا التصريح بايام قليلة تصريحاً آخر يعد فيه بالسكوت المطلق حتى يرد رئيس الوفد من بغداد فيكون هو

الذي يصرح، ويكون هو الذي يتحمل مسؤولية التصريحات .

فالتصريح – اذن – ليس تصريحاً ، فاضلياً ، وانما هو تصريح (صالحي) او (نوري) او (بيفني) – على الاصح – وهو عملية من عمليات (جس النبض) – كما يقول الصحفيون – قصدت منه السياسة الى امتحان الشعور الوطني واختبار وقع المعـــاهدة في نفوس العراقيين ، أولا . ثم قصدت منه التدرج بهـــذا التصريح وامثاله الى اعلانها ثانياً .

وما يدريك فلعله لم يكن تصريحاً فاضلياً ، مصدره لندن ، ولعله تصريح صنع في بغداد من اجل هذا الغرض .

– ٢ –

وسواء اكان هذا أم ذاك فان الامر الذي لا شك فيه عـــلى الحالين هو ان التصريح صُنع لجس النبض ، وان « جس النبض » هذا دل على « الحمى » المستبحرة الراعدة إذ تجاوب الصدى باستياء عام عبرت عنه الاحزاب وسائر الهيئات والصحف بمـــا سنحدثك عنه بعد قليل .

– ٣ –

ولم يكن الامتحان ناجحاً بالقياس الى القوم فكانوا مضطرين الى جبر درجاته واصلاح ما ترتب عليه من أذى عاجل مس قضيتهم بطريقة (جبرية) . ولم يكن تكذيب التصريح وحـده مقنعاً ولا مصلحاً لما أفسده هذا التصريح بما فتق عليهم من تنبه الرأي فماذا يصنعون ؟

لقد اعدوا لذلك عدة من مسرحياتهم التي الفوا تمثيلها في مجلس الاعيان ، واقبلوا على فنانيهم في هذا المسرح يشاورونهم بتأليف المسرحية الجديدة المنبثقة من هذه الحاجة العاجلة ، وما اسرع ما الفوا المسرحية التي ارادوا ان يجعلوها ضماداً لجراح التصريح واطفاء لائرة التي اثارها نشره .

فجاءت « مسرحية » فنية رائعة تتوافر فيها عناصر الدرامة وعناصر « الكوميديا » من وجه آخر .

وقبل ان نرسم خطوط هذه المسرحية القصيرة ونسمي أبطالها وشخوصها نثبت ظروفها اخذاً عن جريدة الساعة [1] ، لتكون أقرب الى التمثل والفهم .

قالت جريدة الساعة من تعليق هـا تحت عنوان (سياسة الاسبوع) :

أفاقت بغداد فجأة على أنباء تعديل المعاهدة في أواسط الاسبوع الماضي بعد مؤتمر قصر الرحاب العامر .

وكان الحادث الذي يستأثر باهتمامها حادث (الجهاد) .. الجهاد في ميدان فلسطين تسعى اليه سعياً حثيثاً بحماسة وقوة وسخط كبير على المترددين والمعتدلين من الانهزاميين واشباههم .

وبينما هي من ذلك في الذروة دخل الميدان حادث يزاحم فلسطين ويوزع الاهتمام الموحد بما يشبه ان يدعو العاصمة الى الحرب في جبهتين في نظر البعض ، ذلك الحادث هو حادث تعديل المعاهدة ، وهو أمر رأت فيه الاندية السياسية ما يوجب النظر والتأمل

(١) في عددها المرقم (٩٤٢) والمؤرخ ٥ ـ ١ ـ ٤٨ .

والتفكير والتدبر ..

وعلى هذا الضوء بادر المشتغلون بالسياسة أفراداً وجماعات الى اعلان آرائهم باهتمام أضعف بالفعل من الاتجاه نحو فلسطين ، وخفف من حرارته الى حد كبير في مقاييس الهبوط .

المعارضة في مجلس النواب واذا كل حزب من الاحزاب ، هؤلاء واولئك يحيطون ظهور المعاهدة في هذا الظرف بالوجوم .. ثم بالتساؤل ، ثم بالبراءة من المسؤولية ، ثم باتهام الانكليز انهم انما أقحموا المعاهدة ليضعضعوا موقف فلسطين من جهة ، ثم لينتهزوا فرصة انشغالنا بفلسطين فيضعفوا من تعديل المعاهدة بالذات من جهة أخرى .

كان ذلك كل ما اشغل السياسيين وكانت الحكومة تدلي باقوالها متتالية فيما يتصل بالمعاهدة فتصطنع منها انكار ما ينكره الجميع ، وتصطنع من تعديلها رجاء ما ترجوه المعارضة دون فرق ، حتى كادت تتغلب الوساوس والشكوك وما اليها من حملات الحذر والخوف من (دهاء) الانكليز .

ولكن مفاجأة لم تكن بالحسبان انحسر عنها جو لندن ، واذا باسبوعنا هذا يفتتح ببرقية لمراسل وكالة الانباء العربية تحمل تصريحاً لمعالي الجمالي لو صح لكان كفراً بعد صمته الطويل ومغالبته لنفسه في دفع الكلام ، كما نقلت عنه البرقيات ايضاً في الاسبوع الماضي.

وليس المهم ذلك ، بل المهم ان هذه البرقية تروي عن وزير الخارجية إقراراً للمعاهدة الحاضرة التي يسخط عليها جمهور العراق والتي قال عنها عاقدها نوري السعيد سنة الثلاثين المغفور له الهاشمي

– وهو يحدثه بلغته الاستعمارية – « لو كنت رئيس حكومة مستقلة لاعتصمت عن الاسفاف الى هذه المعاهدة ، ومع ذلك فاني أصغر جندي تحت راية من يستطيع رفضها » .

البرقية تروي عن معالي الجمالي اقرار هذه المعـــاهدة ثم تتهم الساخطين عليها بانهم على غير الحق . وفي رواية وكالة الانبـــاء الموصوفة بانها عربية متسع للكذب من غـــير شك ولكن نسبة التصريح الى الجمالي وهو وزير مسؤول أعاد الشك الى النفوس ، ورد القلق أشد ما كان في الاسبوع الماضي اذ اعتبر هـــذا – بعد نسيان احتمال الكذب في البرقيـة – تصريحاً حكومياً لا يختلف صدوره في لندن بشيء ما عن صدوره في بغداد .

وانما أثار هذا الاهتمام لانه تدرج الى اعلان عن معاهدة سيئة .

وبدا للاندية السياسية من جـديد ان المعاهدة هذه (طبخة) دبرت برأي الطاهي الاكبر (بيفن) في لندن لتكون سلاحاً ذا حدين كما كان شائعاً في الاسبوع الماضي .

فاهتمت الاوساط السياسية للامر وعقد مجلس خاص في مجلس الاعيان قبل الجلسة المنعقدة أمس لفهم الحقيقة ، كما مشت الاسئلة بعد الحادث الجديد على الشفاه تتساءل عن المغزى من تأييـد جبهة المفاوضة بنوري السعيد وتوفيق السويدي، وعن المغزى من المفاجأة بتعيين جلسة عاجلة في مجلس الاعيان .

وتحدثت الجريدة في نفس العدد عن هـذه الجلسة المفاجئة في مجلس الاعيان فقالت :

« انفردت أمس هذه الجريدة بالاخبار عن اجتماع مجلس الاعيان

وكانت اروقة المجلس صباح أمس لا تبشر بان اجتماعاً سيعقد ، فقد كان حتى بعض الاعيان لا يعلمون ان لديهم جلسة ، ولكن سفر الوفد المفاوض مساء هذا اليوم اقتضى ان تعقد جلسة عاجلة بناء على اقتراح مجلس الوزراء وانتدابه كلاً من فخامتي السعيد والسويدي ليكونا عضوين في وفد المفاوضة .

وبعد ان علم الاعيان بالجلسة الفاجئة انسلوا الى قاعة الاستراحة حيث تعقد لجان المجلس . وقام في الاذهان انه اجتماع اعتيادي من اجتماعات اللجان ، وان الغرض منه انما هو صوغ العريضة الجوابية على خطاب العرش تمهيداً لعقد الجلسة الفاجئة ، غير أننا علمنا بان هذه الجلسة خاصة ،وقد اديرت في هذه الحلوة وجوه النظر في قضيتي فلسطين وتعديل المعاهدة العراقية والربط بينهما في خصوص هذا الظرف ، وان الاعيان وضعوا توصيات عدة وجهوها للوفد المفاوض ،وخلاصتها وضع سيادة العراق ومصالح العرب في هذا الظرف المناسب فوق كل اعتبار ،وقد حدثت شوائب نغصت على الاعيان ترسلهم في الموضوع لا نحب ذكرها بالتفصيل .

وبعد اجتماع دام الى نحو الواحدة بعد الظهر قرع جرس الاجتماع ،فخرج الاعيان من غرفة الاستراحة وما تزال في وجوههم احاديث .

ثم عقدت الجلسة برئاسة فخامة السعيد وقرأ السكرتير الاوراق الروتينية حتى انت دورة كتاب رئاسة الوزراء الموجه الى ديوان مجلس الاعيان في اقتراح ضم فخامتي السعيد والسويدي الى وفد المفاوضة استفادة بهما واستعانة على انجاز مهمة تعديل المعاهدة أو

تبديلها اوضح رئيس الوزراء المغزى منه » .

ثم تلخص الجريدة تفاصيل كلام الاعيان الذي تتألف منه المسرحية .

يتضح مما تقدم ان التصريح أحدث ضجة فكرية لم تنحل فيها عقدة الربط بين قضيتي فلسطين والمعاهدة العراقية ، ولم تفهم مع وجه الدقة اية منهما كانت مفسدة للاخرى : مشكلة فلسطين التي اثيرت لتضعف موقف العراق من تعديل المعاهدة ، ام المعاهدة التي اختير لها هذا الوقت بعينه ليضعف موقف العراق من فلسطين ؟

ولست انت بعيداً عن الصواب حين تذهب الى الربط بين القضيتين ربطاً دورياً على هذا النحو ، فليس من المستبعد ان لم يكن من المتوقع ان يراد اضعاف القضيتين على السواء وبنسبة واحدة ، ولكن الواقع من ناحية ساسة العراق المرتبطين بسياسة الانكليز ان فلسطين كانت في هذا الظرف واسطة ولم تكن غاية ، والمقصود من تبنيها والاشفاق منها وعليها بعث الشعور العنيف نحوها لصرفه عن تتبع خطوات المعاهدة كما اوضحنا سابقاً .

ولكن هذه الحيلة لم تجز على الوعي الحذر فكان لابد من خديعته بعمل رسمي يعلن عن براءة الوفد المفاوض ومعارضته لمفاد هذا التصريح الذي تخوف منه الواعون ، فرأوا عقد هذه الجلسة تدبيراً موقتاً لتسكين الثائرة التي بدأت تتقلع من مكامنها لتنتشر في الفضاء الواسع ، وكانوا محتاجين الى هذا التدبير لأنهم على جناح سفر لا بد لهم فيه من الصحو والصفو .

وقد رأيت صالح جبر والسيد عبد المهدي في ركن من مجلس

الاعيان يتدارسان هـــذا التدبير قبيل الجلسة ويتفقان على توزيع ادوار (المسرحية) على ابطالها وفق مقترحات نوري السعيد المخرج الفني لهذه المسرحيات الخليعة المستهترة .

ويجمل بنا ان نوضح بعض الغموض الذي لم يتسع للساعة ان توضحه حين نشرت خبر الجلسة المرتجلة ، فنثبت الآن ان الجلسة هذه جاءت مخالفة للاصول المتبعة في دعوة الاعيان ، اذ دعوا شفهياً قبل الجلسة بساعة فقط وكلفوا بالحضور دون ان يبلغوا بالمنهج ، في حين ان الاصول تقضي بدعوتهم تحريراً في يوم سابق ، وتقضي كذلك بتبليغهم منهج الجلسة ليكونوا على علم بما سيجتمعون من اجله .

لذلك ورمت أنوف الاعيان غير المقربين ، وعز عليهم ان تضيق صدور الحكام الى هـذا الحد فيبلغ بهم حب الكتمان والاستئثار مبلغاً جعل الاعيان ادوات يفرض عليها الاجتماع والتفرق فرضاً . ومن هنا رأينا صالح جبر يعتذر لهم عما جرح كرامتهم ، بان سفر الوفد الفاجيء هو الذي دعاهم الى تخطي الحـــدود المرسومة في استدعاء الاعيان، ولولا حاجته اليهم في هذا الظرف الخاص لمـــا اعتذر اليهم في اكبر الظن .

المسرحيـــة

ومع ذلك فلم يمتنعوا عن الاختصاص بالمشورة ، فاجتمع الخاصة من الاعيان في غرفة الاستراحة ، وهي قاعة التمرين وتوزيـــع الادوار — في لغة التمثيل — وبعد مذاكرة غير طويلة وزعوا ادوار (المسرحية) على النحو التالي :

دور الهجوم على الحكومة	لصادق البصام .
دور « البرفسور »	لتوفيق السويدي .
دور النصح والارشاد	لعبد المهدي المنتفكي .
دور الحياد والواقعية	لمصطفى العمري .
دور « المهندس »	لأرشد العمري .

أما نوري فكان له دور « الملقن » . وأما صالح فله دور « البطل » الذي يدور حوله موضوع القصة .

وقد أتقنوا أدوارهم هذه قبل الظهور على المسرح ليمثلوها تمثيلاً طبيعياً يؤثر التأثير المطلوب الذي يصلح من قلوب الناس ما أفسدته تجربتهم بتصريح فاضل الجمالي .

ولما قرع الجرس رفع عنهم الستار في بهو المجلس .

البصام

وقف معالي البصام فتساءل عن تصريح الجمالي منكراً له انكاراً شديداً ثم متهماً الاقوياء بصورة عامة ، وبصورة خاصة الانكليز ، وبناء على هذا ربط بين الحادثين ، فلسطين وتعديل المعاهدة ، وشك في أن تكون المعاهدة الجديدة مساومة على بيع فلسطين .

صالح جبر

وأعلن رئيس الوزراء رأيه في الموقف هذا كله وهو يجيب معالي البصام .

١ – ما جاء عن الجمالي : هذا مكذوب وعلى ذلك ... فاننا بقطع النظر عما نعرف من ماجريات الامور نعرف أن الجمالي لا

يمكن أن يصدر عنه مثل هذا التصريح ، ومخالفة التصريح للرأي المجمع عليه في البلد يكفي للاطمئنان إلى كذبه .

٢ – تعديل المعاهدة لا خداع فيه : أما الربط بين تعـــديل المعاهدة وبين قضية فلسطين على نحو مايقال فخطأ عار عن الصواب ، إذ أن بريطانيا من ناحيتها لا تهدف الى ذلك لان الحكومة العراقية – أية حكومة – أسمى من ان تذعن لمثل هذه المساومة . هـــذا مضافاً الى أن الواقع الذي لا ينبغي الشك فيه هو ان تعـــديل المعاهدة خطوة من شأنها ان تكون عوناً للعراق ،لافي قضية فلسطين فقط ، بل وفي سائر الاقطار العربية .

السويدي

وقام السويدي فعرض الى اطوار المعاهدة وضرورة تعديلها ، ثم اكد أنها قوة ضخمة تساعد العراق على مد يد المساعـــدة الى الاقطار الشقيقة جميعها .

العمري

أما السيد مصطفى العمري فكان في نفسه شك مـــن تصريح الجمالي ،ولكن ايضاح رئيس الوزراء لم يبق منه إلا عتباً على معالي الجمالي من كثرة التصاريح التي تجعل قراء المنسوب اليه منها يشكون فيها . قال ذلك بعد أن شرح المعاهدة بوضوح ، ومال على بريطانيا بشدة فقال : انها علة فلسطين وبلاء العرب فيها .ثم وازن بين فلسطين قبل الاحتلال وبعده فخرج بحقيقة راهنة هي ان

الانكليز قوّت اليهودية فيها عدداً اذ كان فيها قبل الانكليز ٦٠ الفاً وهي الآن تضج بـ ٦٦٠ الفاً ، ثم قوتها عدة بأن أوجدت لها منظمات ارهابية وعسكرية مجرمة .

ولام الانكليز كحليفة بمثل ما لامها به معالي السيد عبد المهدي اذ انها لم تشاور العراق في قضايا فلسطين منذ البداية استهـــانة باستقلاله وكفاياته .

السيد عبد المهدي

تكلم مرتين .. فكرس موقفه الاول للهجوم على بريطانيا التي حصر فيها مسؤولية ضياع فلسطين ، وعلى معاهدة ١٩٣٠ التي فرضها الانكليز على العراق فرضاً غاشماً . وكرس الثانيـــة للدفاع عن الجمالي الذي قيد نفسه قبل يومين بعدم التصريحات وارجائه كل قول في موضوع المعاهدة الى موعـــد وصول رئيس الوزراء الى لندن .

توصيات

وقد أوصى المتكلمون جميعاً في مسالة المعاهدة بالقوة التي تنسجم ومطالب البلاد وأماني الشعب وزود المفاوض العراقي بمـــا يجب لصيانة السيادة من تحرير المطارات وامثالها من قواعد الاستعمار . على أنه دّل بعدئذ على انه ملم بمحتويات المعاهدة .

تطور الموقف

جرى ذلك بسرعة فائقة وفي يوم واحد ، فقد كانوا يخشون أن

يتطور الموقف تطوراً يعيقهم عن السفر ، فظنوا أن هذه المسرحية كافية لاطفاء النار ، لذلك خرجوا منها معجبين بنجاحها ثم اخذوا طريقهم الى الحبانية ليقلعوا منها إلى لندن .

غير أن العاصمة كانت تغلي غليانها المعهود في تاريخها ، فلن يصدها شيء دون الوثبة إلا اذا أمكن أن يصد السيل وهو منحدر هادر !

ففي يوم الاثنين ٥ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ صـــدر التفويض السامي من البلاط الملكي بالعهد الى صالح رئيس الوفد ، وأعضائه نوري السعيد وتوفيق السويدي وفاضل الجمالي — وكان ينتظرهم في لندن — وشاكر الوادي بفتح المفاوضات ،وكنا علقنا في جريدة الساعة من قبل على سفرهم بانه قصير المدة لانه سفر شكلي لامهمة لهم فيه غير التوقيع .

وغادر الوفد بغداد في هذا اليوم تخلصاً من جوهـا بعد أن اسندت وكالة رئاسة الوزراء الى جمـال بابان الذي كنا نهينا عن اسناد الوكالة اليه — كما ذكرنا آنفاً .

ورأت الهيئات الشعبية أن تعلن رأيها بالمعاهـــدة وبالوفـــد المفاوض أيضاً قبل أن يغـادر العراق ،فتجندت مواكب الطلاب (بالاتفاق مع الاحزاب) متجهة الى كلية الحقوق، لتخرج من ثم بموكب موحد يعلن بمظاهرة سلمية رأيه بالمعاهدة . ولكن الشرطة كانت هم بالمرصاد ، فما كادوا يتجمهرون في ساحـــة الكلية حتى اطبقت عليهم بعنف ، ودارت بين الفريقين معركة استمرت نصف ساعة حامية الوطيس ، ولم تنتـــه الا لتسفر عن ضحايا كثيرة من الفريقين .

وصدر على أثر الحادث قرار من مجلس الوزراء بتعطيل المدرسة إلى أجل غير مسمى، ونقل المدرسون المتهمون بالتعاون مع الطلاب من مراكزهم .

وكان الحادث في نظر عامة الشعب نوعاً من الاعتداء الصارخ على حرم العلم وبراءة الطلاب وحرية الرأي جميعاً .

كما كان اعلاناً عن سوء تصرف الحكومة حتى اتهم جلال بابان بانه قصد الى العنف قصداً على هذا النحو التعسفي الارهابي ليزلزل وزارة صالح .

ولا نبرىء صالحاً من العنف فهو من المعتدّين بسياسة القوة ، ومن عشاق الارهاب ، وطالما سمع يتمتم بهذه الكلمة : السياسة لا قلب لها ، وهو يروض نفسه على الاستهانة باقدار الناس واستغلال مجهوداته ليجعل من هذه الكلمة عذراً يرضي به ضميره . وطالما قص علينا وقائع فتكه حين كان متصرفاً في معرض الاعتزاز باخضاع الشعب واذلاله بالقوة .

اننا لا نبرىء صالحاً من ضرب الطلاب لو كان حاضراً في بغداد، ولكن الطلاب لم يأتوا شيئاً يستحقون عليه التوبيخ ، فضلا عن الضرب المبرح والاهانة البالغة والارهاب باطلاق الرصاص ، فقد كانوا حين هاجمهم الشرطة مـــا يزالون في ساحة الكلية . وكانوا ما يزالون خاضعين لحماية معهد القانون والحقوق .

ذلك ما جعل الناس يظنون انه ليس شبيهاً باوامر صالح جبر ، وجعلهم يظنون انه دس من جمال بابان مقصود، لا للتهدئة والمحافظة على الامن الذي لم يحدث مـــا يشوشه ، بل للاثارة والاستفزاز

ليس الا .

على ان المظاهرة هذه كانت من حركات البناء . وهي سياسة في الواقع ترمي الى تقوية معنوية الوفد في معارضته . والمعروف عن الملك فيصل الاول رحمه الله انه كان في مثل هذه المناسبات يهيء هو مثل هذه المظاهرات لتكون من أدلة المفاوض على وجوب اعطاء البلاد حقها من السيادة والاستقلال .

وكان واجب الشرطة يقضي بمرافقة الطلاب عن كثب ومعاونتهم على النظام، فان بدا في الطريق ما يوجب التدخل تدخلوا . أما أن يفاجأوا في حرمهم المقدس ، فامر كان من النكر والبشاعة والتجاوز حيث لم يحتمل وحيث كان اولى البشائر بنصر الحركة الوطنية ، وحيث سجل لجمال بابان إثم الدس على وزارة يعمل فيها ، الى اثم الفظاعة [1] . ولا يشك العالمون بانها كانت دسيسة من نوري للايقاع بصالح .

وتطور الموقف في اليوم الثاني تطوراً عظيما انشأ جبهة من الصراع واستطار فيها الشر بين الطلاب والحكومة .. اما هذه فقد سلكت الى اخضاع الطلاب العنف ، فتنكرت لهم وعبست في وجوههم ، فاغلقت دونهم مطاعم (اقسامها الداخلية) بعد غلق كلية الحقوق وقررت طرد بعضهم واوقفت بعضاً آخر ، وعقد جمال بابان مؤتمراً صحفياً أعلن فيه اخذ الحكومة بمبدأ الشدة ، وناشد

---

(١) ذكرت (الساعة) في عددها الصادر بتاريخ ٦/١/٤٨ تفاصيل الحادث بتحقيق انفردت به وعلقت عليه تعليقاً قوياً ناصرت فيه الطلاب. وكنا نود لو يتسع له هذا العرض فهو شيق مضافاً الى انه يعتبر وثيقة تاريخية .

الرأي العـــام أن يثوب الى السكينة ،ولم يحجم عن تسخير قضية فلسطين للتهدئة . أما المعاهدة فراوغ بالحديث عنها مـــا شاء ، ثم أذاع بياناً رسمياً فيه صورة من صور المداورة السياسية الناشئة على يد نوري السعيد في المراوغة وستر الحقائق [1] .

---

(١) نثبت بيانه ليكون وثيقة تدل على لون من ألوان السياسة التي فصلناها فيما سبق من كلامنا قال : « فهم من التقارير الرسمية المقدمة من السلطات المختصة ان بعض طلاب كلية الحقوق قرروا بتاريخ ٤ ـ ١ ـ ٩٤٨ القيـــام بمظاهرة . وفي صباح يوم ٥ ـ ١ ـ ٩٤٨ وفد طلاب بعض المدارس الثانوية على الكلية بدون كتب . فخرجوا من الكلية متظاهرين ـ بدون اجازة ـ يهتفون بسقوط المعاهدة وبحياة فلسطين واحدثوا شغباً . وعندما حاولت الشرطة حفظ النظام وتفريقهم بادروها بالحجارة ،ثم اخذ البعض يطلقون العيارات النارية على قوات الشرطة مما أدى إلى جرح ٤٢ شرطياً بضمنهم معاون شرطـــة ومفوض، الامر الذي لم يدع مجـــالا للشك في ان بعض المتظاهرين من الطلاب كانوا يحملون السلاح عندما عزموا على اقامة هذه المظاهرة . وبعد ان استمر الطلاب على الشغب ورمي الحجارة على قوات الامن تحصنوا في الكلية فطوقتهم الشرطة إلى ان هدأ الحال فسمحت لهم بالتفرق مع العلم أنه كان يوجد بين المتظاهرين اشخاص من حملة المبادىء الهدامة . هذه خلاصة ما حدث في اليوم المذكور مستقاة من التقارير المقدمة من قبل السلطات الرسمية .

ان الحـكومة قد أعادت الامن الى نصابه فوراً ،وقد اصدرت اوامرهـــا المشددة بوجوب اجراء التحقيق عن السبب لهـذه المظاهرة والمبادىء بالتجاوز والشغب . وقد شكلت لهذا الغرض هيئة رسمية من كبار رجال الدولة للتحقيق العادل اضافة الى التحقيقات التي قامت بها السلطات القضائية .

هذا ومن هتافات المتظاهرين ان سبب هذه المظاهرة يرجع الى عاملـــين : الاول تعديل المعاهدة والثاني قضية فلسطين في حين ان المفاوض الذي ذهب لتعديل المعاهدة لم يبدأ بعد مفاوضاته ولم يظهر منه اي اتجاه ،حتى ولا أي تصريح بما يخالف الآمال الوطنية ، بل ان تصريحات رئيس الوفد أمام مجلس الامة كانت كلها تشير الى

ولكن الطلاب تصلبوا في نضالهم مستندين الى مؤازرة الصحف الوطنية القوية والى الاحزاب والى تشجيع الشعب ، وكان كل اولئك الى جانبهم [1] .

ان التعديل كان مرتكزاً على اساس استقلال البلاد وتأمين المصالح الوطنية .

أما قضية فلسطين فان موقف الحكومة تجاهها صريح ومعلوم ، وان تصريحات فخامة رئيس الحكومة قد اطلع عليها الرأي العام ، وان الهيئات الحكومية والشعبية قامت كل منها بدورها بما يجب بهذا الشأن، وانها لا زالت مستمرة بتقديم التضحيات لبقاء فلسطين دولة حرة عربية وتخليصها من الصهيونية المجرمة .

ومن هنا تستنتج الحكومة ان هذه الحركة ما هي الا دسيسة مقصودة من قبل منظمات تعرفها حق المعرفة أحدثت لاشغال الرأي العام لغرض جعله ينظر الى قضية فلسطين بنظر آخر، وان يقف في عضد المفاوض العراقي الذي ذهب بكل حماس واخلاص للقضية الوطنية لتعديل المعاهدة ، ويعرقل مساعيه . واننا لواثقون بان الشعب العراقي الكريم واع لهذه الدسائس التي سوف لا تعيقه عن اداء الواجب . وعليه انني ارجو من ابناء الشعب العراقي الكريم كافة ان يؤازروا الحكومة ويفسحوا المجال للمفاوض العراقي ان يتفاوض مع الجانب الآخر، وان ينظروا النتائج التي ستحصل عليها الحكومة والتي لا بد ان تعلن على الجميع للاطلاع عليها، كما وانني ادعو ابنائي طلاب المعاهد العالية والثانوية والمدارس الأخرى ان يتجنبوا الاتصال بذوي المبادىء الهدامة ، وان يلتحقوا بمدارسهم وكلياتهم فوراً .

وليعلم الجميع بان الحكومة واقفة بالمرصاد، وانها ستضرب بكل شدة على يد كل من تسول له نفسه الاخلال بالامن والسكينة . »

(١) على اثر اشتداد الخطب علقت في حقل « الاشتات » على حادث الحقوق بلمحات اثبتها لتعينك على فهمه وفيما يلي صور من هذه اللمحات :

* حادث الحقوق من طرفيه — الحكومي والمدرسي — لون من الصراع الذي ينبغي ان يؤبه له في هذه الفترة . قال فيه ظريف امس : انه يسد مسد (الكوليرا) في سورية ، ويعني بذلك انه صنيع صهيوني .. قد تكون النواة

وقد اصدرت الاحزاب بيانات بليغة احتجت فيها على سلوك الشرطة غير القانوني وطالبت بالافراج عن الطلاب المعتقلين ومعاقبة المسؤولين عن حادث الكلية .

ودارت رحى الحركة الوطنية [1] على هذا الغرار دورة قوية اعادت المياه الى مجاريها بعد أن ادلت ببرهانها الواضح على بلوغ الطلاب النضج المطلوب من الوعي الصحيح وادراكهم لخطورة الموقف ازاء الاجراءات المرتجلة في سياسة (الادارة) نحو المدارس . ومما سرت به الاوساط الوطنية أن تسجل المعاهد المرجوة لبناء

كذلك ، ولكن يجب ان تكون حقن هذه الكوليرا جديدة لان التعبئة القديمة تضر اكثر من ان تنفع .

* علام تقتتل ايها الناس .. اطمئنوا ! ان الذي يتنفع في هذه المعركة أحد اثنين الانكليز او الروس ، اما نحن فلسنا غير الاضاحي .

* الحياة شيء ثمين . ولمحجمة من دم مظلوم أغلى مما يملك الروس والانكليز جميعاً .. افهموا هذا يخرج الانكليز والروس جميعاً من بلادكم وتتحقق السيادة التي يبكيها بعضنا ويتباكى باسمها اراذلنا .

(١) علقت في «الاشتات» على الحادث في ٨ ـ ١ ـ ٤٨ بما يلي :

ان رأيي في الصراع الفكري الحاضر قديم ، وهو رأي لم يختلف عندي في لحظة من اللحظات .. انا ارى ان الرأي لا يحارب بالسلاح ، وارى ان العقيدة ـ كل عقيدة ـ اولى بالرسوخ حين تضطهد او تطارد ، لذلك ادعو دائماً الى تحرير الرأي والعقيدة وفسح المجال لهما في حدود المنطق والادب والادلة ، ولا ارى مانعاً من الجمع بين الاختلاف في الرأي وبين الاتفاق في المعاشرة واللقاء والمؤانسة ، بل أرى ذلك من الواجب لانه يؤول بطبيعته الى تربيتنا تربية اجتماعية صحيحة لا نخشى فيها ما ينجم عن الخلاف المبدئي من اللوازم الباطلة والقلق في الامن ونحوه ، ولا سيما اذا كان الوطن والاصلاح هما الغاية التي تتفرق طرقنا في سبيل الوصول اليها .

المستقبل هذه الوقفة التي تعطي الفكرة عن شخصية صالحة في الجيل الطالع لان يدير البلاد في المستقبل ادارة وطنية صحيحة .

وسويت المسألة بين الحكومة والطلاب عند هـــذا الحد من صرامة الوعي اذ استجابت الحكومة للرغبة العامة باطلاق الموقوفين وفتح كلية الحقوق، كما انهى الطلاب اضرابهم وتداعوا الى السكينة والرجوع الى الدراسة .

وكان المحصول السياسي في نهاية الاسبوع ثلاثة احداث ذات أثر في تطور الحوادث والوعي معاً .